

بهجة القلوب والأسماع
في حث الإسلام
على الاجتماع

كتبه

أبوبكر بن عبده بن عبد الله الحمادي

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على محمد وآله

أما بعد:

فإن اجتماع المسلمين من أسباب قوتهم فقد روى أحمد (٢١٧٥٨، ٢٧٥٥٤)، أبو داود (٥٤٧)، والنسائي (٨٤٧) من طريق زائدة، حدثنا السائب بن حبيش، عن معدان بن أبي طلحة اليعمرى، عن أبي الدرداء، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((ما من ثلاثة في قرية ولا بدو لا تقام فيهم الصلاة إلا قد استحوذ عليهم الشيطان، فعليك بالجماعة فإنما يأكل الذئب القاصية)) . قال زائدة: قال السائب: يعني بالجماعة: الصلاة في الجماعة.

قلت: هذا حديث حسن، والسائب ذكره ابن حبان في "الثقات" ووثقه العجلي، وقال الدارقطني صالح الحديث، وقال الحاكم رحمه الله في [المستدرک] (١ / ٣٣٠):

((وقد عرف من مذهب زائدة أنه لا يحدث إلا عن الثقات)) .

قلت: فبمجموع هذا يرتقي حديثه إلى الاحتجاج. والله أعلم.

ويشهد له ما رواه أحمد (٢٢٠٨٢) ثنا روح ثنا سعيد عن قتادة ثنا العلاء بن زياد عن معاذ بن جبل أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إن الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم يأخذ الشاة القاصية والناحية فإياكم والشعاب وعليكم بالجماعة والعمامة والمسجد)) .

قلت: وفيه انقطاع بين العلاء ومعاذ، ويشهد له ما سبق.

ورواه أحمد (٢٢١٦٠) ثنا عبد الصمد ثنا عبد الوارث ثنا عمر بن إبراهيم ثنا قتادة عن العلاء بن زياد عن رجل حدثه يثق به عن معاذ بن جبل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم يأخذ الشاة القاصية والناحية وإياكم والشعاب وعليكم بالجماعة والعمامة)) .

قلت: وفيه رجل مبهم.

وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بلزوم الجماعة.

فروى الترمذي (٢١٦٥) حدثنا أحمد بن منيع حدثنا النضر بن إسماعيل أبو المغيرة عن محمد بن سوقة عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال: ((خطبنا عمر بالجابية فقال يا أيها الناس إني قمت فيكم كمقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا فقال: "أوصيكم بأصحابي ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يفضوا الكذب حتى يحلف الرجل ولا يستحلف ويشهد الشاهد ولا يستشهد ألا لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد من أراد بحبوة الجنة فيلزم الجماعة من سرته حسنته وسأته سيئته فذلك المؤمن")).

قلت: النضر ضعيف الحديث لكن يشهد للأمر بالجماعة ما رواه أحمد (٢٣١٩٤) ثنا إسحاق بن سليمان الرازي قال سمعت زكريا بن سلام يحدث عن أبيه عن رجل قال انتهيت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول: ((أيها الناس عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة أيها الناس عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة)). ثلاث مرار قالها إسحاق.

قلت: زكريا لم يوثقه معتبر، ووالده سلام مجهول. ويشهد له ما سبق.

وروى أحمد (١٧٢٠٩، ٢٢٩٦١)، والترمذي (٢٨٦٣) من طريق يحيى بن أبي كثير عن زيد بن سلام أن أبا سلام حدثه أن الحارث الأشعري حدثه: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (("وأنا آمركم بخمس الله أمرني بهن السمع والطاعة والجهاد والهجرة والجماعة فإن من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربة الإسلام من عنقه إلا أن يرجع ومن ادعى دعوى الجاهلية فإنه من جثا جهنم" فقال رجل يا رسول الله وإن صلى وصام ؟ قال: "وإن صلى وصام فدعوا بدعوى الله الذي سماكم المسلمين المؤمنين عباد الله")).

قلت: هذا حديث صحيح.

قال العلامة الخطابي رحمه الله في [معالم السنن] (٤ / ٣٣٤):

((الرقة ما يجعل في عنق الدابة كالطوق يمسكها لئلا تشرد، يقول من خرج عن طاعة الجماعة وفارقهم في الأمر المجمع عليه فقد ضل وهلك وكان كالدابة إذا خلعت الرقة التي هي محفوظة بها فإنها لا يؤمن عليها عند ذلك الهلاك والضياع)).

وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بلزوم الجماعة عند الفتن فروى البخاري (٣٦٠٦)، ومسلم (١٨٤٧) عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: ((كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير، وكنت أسأله عن الشر، مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: "نعم"، قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير، قال: "نعم وفيه دخن"، قلت: وما دخنه؟ قال: "قوم يهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر"، قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: "نعم، دعاة إلى أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها"، قلت: يا رسول الله صفهم لنا، فقال: "هم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا"، قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: "تلزم جماعة المسلمين وإمامهم"، قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: "فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة، حتى يدركك الموت وأنت على ذلك")).

قلت: وهذا الاجتماع الذي حثَّ عليه الشرع وبيَّن أنَّ فيه قوة المسلمين إنما هو الاجتماع على الحق وأما الاجتماع على الباطل فلا يفيد شيئاً بل عاقبته وخيمة على أهله.

قال الله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ﴾ (٤٤) سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبَابَ ﴿[القمر: ٤٤] ، [٤٥].

وقال الله تعالى: ﴿فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى﴾ [طه: ٦٠].

وقال الله تعالى: ﴿وَتَأْدَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تُنْكِبُونَ﴾ [الأعراف: ٤٨].

وقال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا الْكُفْرَ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) فَاتَّقِلُوا بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلِهِ لَمْ يَمَسُّهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (١٧٤) إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا مِنِّي إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٧٥)﴾ [آل عمران: ١٧٣-١٧٥].

وقال الله تعالى حاكياً ما قاله نوح عليه الصلاة والسلام لقومه: ﴿فَاجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ﴾ [يونس: ٧١].

وقال الله تعالى عن نبيه هود عليه الصلاة والسلام: ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ﴾ [هود: ٥٥]

قلت: والاجتماع على الحق من أعظم النعم ولهذا أمتن به على صحابة نبيه صلى الله عليه وسلم فقال:

﴿وَأَلْفَ يَنْ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَفْقَتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَ يَنْ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ يَنْ يَنْهَرُ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٣].

ولما كان الاجتماع من النعم العظيمة لم يحرم منه أهل الجنة في الجنة، قال الله تعالى:

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧].

وقال الله تعالى: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٥٠) قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ (٥١) يَقُولُ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُضْطَّغِينَ (٥٢) إِذَا مَثَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ (٥٣) قَالَ هَلْ أُنتَرُ مُطْلَعُونَ (٥٤) فَاطْلَعَ فِي آءٍ فِي سَوَاءٍ الْجَحِيمِ (٥٥) قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدْتَ لَتُرْدِينَ (٥٦) وَلَوْلَا نِعْمَتُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٥٧) أَفَمَا نَحْنُ بِمَبِينِينَ (٥٨) إِلَّا مَوْتَتْنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (٥٩) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٦٠) لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ [الصافات: ٥٠ - ٦١].

وروى البخاري (٤٣٣٠)، ومسلم (١٠٦١) عن عبد الله بن زيد بن عاصم قال: ((لما أفاء الله على رسوله صلى الله عليه وسلم يوم حنين قسم في الناس في المؤلفة قلوبهم ولم يعط الأنصار شيئاً فكأنهم وجدوا إذ لم يصبهم ما أصاب الناس فخطبهم فقال: "يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضلالاً فهداكم الله بي وكنتم متفرقين فألفكم الله بي وعالة فأغناكم الله بي" كلما قال شيئاً قالوا: الله ورسوله أمن قال: "ما يمنعكم أن تجيبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم" قال: كلما قال شيئاً قالوا: الله ورسوله أمن. قال: "لو شئتم قلتم جئنا كذا وكذا أترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبون بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى رحالكم لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار ولو سلك الناس وادياً وشعباً لسلكت وادي الأنصار وشعبها الأنصار شعار والناس دثار إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض")).

قلت: والمتأمل في شريعة الإسلام يجد أنَّ من مقاصد الإسلام العظام الاجتماع ويتضح ذلك في الصور الآتية:

١- الاجتماع في الصلوات الخمس.

والأدلة في ذلك كثيرة ومنها:

ما رواه البخاري (٦٤٥)، ومسلم (٦٥٠) عن عبد الله بن عمر أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

((صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة)).

وروى البخاري (٦٤٦)، عن أبي سعيد الخدري أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول:

((صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بخمس وعشرين درجة)).

وجاء من حديث أبي هريرة أيضاً رواه البخاري (٦٤٧)، ومسلم (٦٤٩).

٢- الاجتماع في الصيام.

قلت: فقد فرض الله شهراً واحداً لعموم المسلمين وفيه ما يدل على معنى الاجتماع إذ لولا ذلك لشرع للمسلمين أن يصوموا شهراً غير معين ولكن روعي في ذلك معنى الاجتماع. والله أعلم.

قال الله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة : ١٨٥].

وروى الترمذي (٦٩٧) أخبرني محمد بن إسماعيل حدثنا إبراهيم بن المنذر حدثنا إسحق بن جعفر بن محمد حدثني عبد الله بن جعفر عن عثمان بن محمد الأخنسي عن سعيد المقبري عن أبي هريرة: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((الصوم يوم تصومون والفطر يوم تفطرون والأضحى يوم تضحون)) .
قال الترمذي: ((وفسر بعض أهل العلم هذا الحديث فقال إنما معنى هذا أن الصوم والفطر مع الجماعة وعظم الناس)) .

قلت: إسناده حسن.

٣- الاجتماع في الحج.

قلت: وقد فرض الله عز وجل للمسلمين حجاً في وقت معين وهي الأشهر المعلومات وفي بلد معين وهو البلد الحرام وهذا مما يلاحظ فيه أيضاً معنى الاجتماع.

قال الله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج : ٢٧].

٤- الاجتماع في الأضحى.

روى أبو داود (٢٣٢٤) حدثنا محمد بن عبيد، حدثنا حماد، في حديث أيوب، عن محمد بن المنكدر، عن أبي هريرة، ذكر النبي صلى الله عليه وسلم فيه قال: ((وفطركم يوم تفطرون، وأضحاكم يوم تضحون، وكل عرفة موقف، وكل منى منحر، وكل فجاج مكة منحر، وكل جمع موقف)) .

قلت: إسناده صحيح.

ورواه ابن ماجه (١٦٦٠) حدثنا محمد بن عمر المقرئ، حدثنا إسحاق بن عيسى، حدثنا حماد بن زيد، عن أيوب، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((الفطر يوم تفطرون، والأضحى يوم تضحون)).

قلت: المقرئ مجهول، وذكر ابن سيرين في الإسناد وهم والصواب ابن المنكدر. والله أعلم.

٥- الاجتماع في الجهاد في سبيل الله.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَهُمْ يُنَادُونَ مِنْ صُورٍ﴾ [الصف: ٤].

٦- الاجتماع في السفر.

روى مالك في [الموطأ] (١٧٦٤)، ومن طريقه أبو داود (٢٦٠٧)، والترمذي (١٦٧٤)، ورواه أحمد (٦٧٤٨، ٧٠٠٧).

عن عبد الرحمن بن حرملة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((الراكب شيطان والراكبان شيطانان والثلاثة ركب)).

قلت: هذا حديث حسن.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في [فتح الباري] (٦ / ٥٣-٥٤)

((وترجم له ابن خزيمة النهي عن سفر الاثنين وأن ما دون الثلاثة عصاة لأن معنى قوله: "شيطان" أي عاص. وقال الطبري هذا الزجر زجر أدب وإرشاد لما يخشى على الواحد من الوحشة والوحدة وليس بحرام فالسائر وحده في فلاة وكذا البائت في بيت وحده لا يأمن من الاستيحاش لا سيما إذا كان ذا فكرة رديئة وقلب ضعيف. والحق أن الناس يتباينون في ذلك فيحتمل أن يكون الزجر عن ذلك وقع لحسم المادة فلا يتناول ما إذا وقعت الحاجة لذلك وقيل في تفسير قوله: "الراكب شيطان" أي سفره وحده يحمله عليه

الشيطان أو أشبه الشيطان في فعله، وقيل: إنما كره ذلك لأنَّ الواحد لو مات في سفره ذلك لم يجد من يقوم عليه وكذلك الاثنان إذا ماتا أو أحدهما لم يجد من يعينه بخلاف الثلاثة ففي الغالب تؤمن تلك الخشية)).

وقال العلامة الخطابي رحمه الله في [معالم السنن] (٢ / ٢٦٠):

((قلت: معناه والله أعلم أن التفرد والذهاب وحده في الأرض من فعل الشيطان أو هو شيء يحمله عليه الشيطان ويدعوه إليه فقليل على هذا إن فاعله شيطان، ويقال: إنَّ اسم الشيطان مشتق من الشطون وهو البعد والنزوح، يقال بثر شطون إذا كانت بعيدة المهوى فيحتمل على هذا أن يكون المراد أنَّ الممعن في الأرض وحده مضاه للشيطان في فعله وتشبه اسمه وكذلك الاثنان ليس معهما ثالث فإذا صاروا ثلاثة فهم ركب أي جماعة وصحب)).

وقال العلامة ابن عبد البر رحمه الله في [الاستذكار] (٩ / ٤٨١-٤٨٢):

((وإنما سمي الواحد شيطاناً والاثنان شيطانان لأنَّ الشيطان في أصل اللغة هو البعيد من الخير من قولهم نوى شطون أي بئنة بعيدة فالمسافر وحده يبعد عن خير الرفيق وعونه والأنس به وتمريضه ودفع وسوسة النفس بحديثه ولا يؤمن على المسافر وحده أن يضطر إلى المشي بالليل فتعرضه الشياطين المردة هازلين ومتلاعبين ومفزعين وقد بلغنا ذلك عن جماعة المسافرين إذا سافروا منفردين وكذلك الاثنان لأنَّه إذا مرَّ أحدهما في حاجتهما بقي الآخر وحده فإن شردت دابته أو نفرت أو عرض له في نفسه أو حاله شيء لم يجد من يعينه ولا من يكفيه ولا من يخبر بما يطرقه فكأنه قد سافر وحده وإذا كانوا ثلاثة ارتفعت العلة المخوفة في الأغلب لأنَّه لا يخرج الواحد مرة في الحاجة ويبقى الاثنان ثم يخرج الآخر مرة أخرى ويبقى الاثنان يكون هذا دأباً في الأغلب في أمورهم وإن خرج الاثنان لم يطل مكث الواحد وحده هذا ونحوه والله أعلم بما أراد رسوله بقوله ذلك

وقد روى عبد الرحمن بن أبي الزناد هذا الحديث عن عبد الرحمن بن حرملة وعن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة عن النبي قال: "إنَّ الشيطان يهمل بالواحد وبالاثنين فإذا كانوا ثلاثة لم يهمل بهم" ((.

٧- الاجتماع عند النزول في السفر.

روى أبو داود (٢٦٢٨) حدثنا عمرو بن عثمان الحمصي، ويزيد بن قبيس - من أهل جيلة ساحل حمص، وهذا لفظ يزيد - قالوا: حدثنا الوليد بن مسلم، عن عبد الله بن العلاء، أنه سمع مسلم بن مشكم أبا عبيد الله، يقول: حدثنا أبو ثعلبة الخشني، قال: ((كان الناس إذا نزلوا منزلاً - قال عمرو: كان الناس إذا نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلاً - تفرقوا في الشعاب والأودية ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنَّ تفرقكم في هذه الشعاب والأودية، إنّما ذلكم من الشيطان". فلم ينزل بعد ذلك منزلاً إلاّ انضم بعضهم إلى بعض، حتى يقال: لو بسط عليهم ثوب لعمهم))).

قلت: هذا حديث صحيح، والوليد بن مسلم وإن كان مدلساً إلاّ أنّه قد وقع التصريح بالسماع عند ابن حبان (٢٦٩٠).

٨- الاجتماع على الطعام.

روى أحمد (٣٢٨٦)، وأبو داود (٣٧٦٤)، وابن ماجه (٣٢٨٦) من طريق الوليد بن مسلم، قال: حدثني وحشي بن حرب، عن أبيه، عن جده: ((أنّ أصحاب النبي، صلى الله عليه وسلم قالوا: يا رسول الله إنا نأكل ولا نشبع، قال: فلعلكم تفرقون؟ قالوا: نعم، قال: "فاجتمعوا على طعامكم، واذكروا اسم الله عليه يبارك لكم فيه"))).

قلت: قال العلامة الذهبي رحمه الله في [المغني في الضعفاء] (٢ / ٧١٩):

((وحشي بن حرب بن وحشي الحمصي عن أبيه قال جزرة لا يشتغل به ولا بأبيه))).

قلت: ويشهد لمعناه ما رواه البخاري (٥٣٩٢)، ومسلم (٢٠٥٨) عن أبي هريرة، رضي الله عنه، أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((طعام الاثنين كافي الثلاثة وطعام الثلاثة كافي الأربعة))).

وروى مسلم (٢٠٥٩) عن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((طعام الواحد يكفي الاثنين وطعام الاثنين يكفي الأربعة وطعام الأربعة يكفي الثمانية))).

٩- الاجتماع في مدارس القرآن.

روى مسلم (٢٦٩٩) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((...وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده...)).

قال في [تحفة الأحوذى] (٧ / ٢٦١):

((التدارس قراءة بعضهم على بعض تصحيحاً لألفاظه أو كشفاً لمعانيه قاله ابن الملك. وقال الجزري في النهاية: تدارسوا القرآن أي اقرءوه وتعهدهوه لثلاث تنسوه يقال درس يدرس دراسة وأصل الدراسة الرياضة والتعهد للشيء انتهى. وقال القاري في المرقاة: ويمكن أن يكون المراد بالتدارس المدارس المعروفة بأن يقرأ بعضهم عشراً مثلاً وبعضهم عشراً آخر وهكذا فيكون أخص من التلاوة أو مقابلاً لها والأظهر أنه شامل لجميع ما يناط بالقرآن من التعليم والتعلم انتهى)).

١٠- الاجتماع في حلق العلم.

روى البخاري (٦٦)، ومسلم (٢١٧٦) عن أبي واقد الليثي: ((أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ وَالنَّاسُ مَعَهُ إِذْ أَقْبَلَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ فَأَقْبَلَ اثْنَانِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَذَهَبَ وَاحِدٌ قَالَ فُوقِفَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَرَأَى فَرْجَةً فِي الْحَلْقَةِ فَجَلَسَ فِيهَا، وَأَمَّا الْآخَرُ فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ، وَأَمَّا الثَّالِثُ فَأَدْبَرَ ذَاهِبًا فَلَمَّا فَرَّغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "أَلَا أَخْبِرُكُمْ، عَنْ النَّفَرِ الثَّلَاثَةِ أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى اللَّهِ فَأَوَاهُ اللَّهُ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللَّهُ مِنْهُ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللَّهُ عَنْهُ ")).

١١- النكاح.

فإن من جملة مقاصده الترابط بين المسلمين، فإنَّ الشخص في النكاح يجلب له أصهاراً فتقوى الرابطة في النكاح بينه وبين أصهاره وهذا من أسباب تقوية المسلمين.

قال الإمام الطبري رحمه الله في [التفسير] (٢٠ / ٨٦):

((وقوله: ﴿ وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ جعل بينكم بالمصاهرة والختونة مودة تتوادون بها، وتتواصلون من أجلها)) .

قلت: وكما حث الشرع على الجماعة والاجتماع فقد نهي عمّا يخالف ذلك من الافتراق وترك الجماعة والأدلة في ذلك كثيرة منها:

١- قول الله تعالى: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (١٠٥) [آل عمران : ١٠٣ - ١٠٥] .

٢- وقال الله تعالى: ﴿ وَإِنْ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ (٥٢) فَتَقَطُّوا أُمْرَهُمْ يَنْتَهَزِبُونَ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فِي حُورٍ ﴾ [المؤمنون : ٥٢ ، ٥٣] .

٣- وقال الله تعالى: ﴿ إِنْ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ (٩٢) وَتَقَطُّوا أُمْرَهُمْ يَنْتَهَزِبُونَ كُلُّ إِلَيْنَا رَاغِبُونَ ﴾ [الأنبياء : ٩٢ ، ٩٣] .

٤- وقال الله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [هود : ١١٨ ، ١١٩] .

٥- وقال الله تعالى: ﴿ مُبِينٍ إِلَيْهِ وَاقْتَوُوا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُسْرِكِينَ (٣١) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فِي حُورٍ ﴾ [الروم : ٣١ ، ٣٢] .

٦- وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِعَاعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام : ١٥٩].

٧- وقال الله تعالى: ﴿وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام : ١٥٣].

٨- وقال الله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْنِبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ [الشورى : ١٣].

٩- وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((افتقرت اليهود على إحدى وسبعين فرقة فواحدة في الجنة وسبعون في النار، وافتقرت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة فأحدى وسبعون في النار وواحدة في الجنة، والذي نفس محمد بيده لتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة واحدة في الجنة وثلثان وسبعون في النار. وقيل يا رسول الله: من هم ؟ قال الجماعة)).

الحديث أخرجه ابن ماجه (٣٩٩٢) والطبراني في [المعجم الكبير] (٧٠/١٨) وابن أبي عاصم في [السنة] (٦٣) واللالكائي في [شرح أصول أهل السنة] (١٤٩) من طريق عباد بن يوسف عن صفوان بن عمرو عن راشد بن سعد عن عوف بن مالك مرفوعاً.

قال العلامة الألباني رحمه الله في [الصحيحة] (٤٨٠/٣) رقم (١٤٩٢) : ((قلت : وهذا إسناد جيد)) وجوّد إسناده أيضاً في [مرياض الجنة].

١٠- وروي البخاري (٣٤١١)، ومسلم (١٨٤٧)

عن حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ قَالَ: ((كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْخَيْرِ وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةً أَنْ يُدْرِكَنِي فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٌّ فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: "نَعَمْ". قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: "نَعَمْ وَفِيهِ دَخْنٌ". قُلْتُ: وَمَا دَخْنُهُ؟ قَالَ: "قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هُدًى تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ". قُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: "نَعَمْ دُعَاةٌ إِلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مِنْ أَجَابِهِمْ إِلَيْهَا قَدْ فُتُّوا فِيهَا". قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا. فَقَالَ: "هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا". قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي أَنْ أَدْرِكَنِي ذَلِكَ. قَالَ: "تَلَزُمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ". قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ؟ قَالَ: "فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرْقَ كُلَّهَا وَلَوْ أَنَّ تَعَصَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ")).

قلت: والتفرق سبب من أسباب الفشل وذهاب القوة وتسلب الأعداء على المسلمين.

قال الله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِعَاظُكُمْ فَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال : ٤٦].

وقد روى أحمد (٢٧٥٤٨)، أبو داود (٤٩١٩)، والترمذي (٢٥٠٩) من طريق أبي معاوية، عن الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن سالم، عن أم الدرداء، عن أبي الدرداء، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ قالوا: بلى، يا رسول الله قال: إصلاح ذات البين، وفساد ذات البين الحالقة)).

قلت: هذا حديث صحيح.

قال في [عون المعبود] (٩ / ٢١٩٧-٢١٩٨):

(("قال إصلاح ذات البين": أي أحوال بينكم يعني ما بينكم من الأحوال ألفة ومحبة كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾: وهي مضمراتها. وقيل: المراد بذات البين المخاصمة والمهاجرة بين اثنين بحيث يحصل بينهما بين أي فرقة، والبين من الأضداد الوصل والفرق "وفساد ذات البين الحالقة": أي هي الخصلة التي من شأنها أن تحلق الدين وتستأصله كما يستأصل موسى الشعر. وفي الحديث حث وترغيب في إصلاح ذات البين واجتناب عن الإفساد فيها، لأن الإصلاح سبب للاعتصام بحبل الله وعدم التفرق بين المسلمين، وفساد ذات البين ثلثة في الدين فمن تعاطى إصلاحها ورفع فسادها نال درجة فوق ما يناله الصائم القائم المشتغل بخويصة نفسه)).

والتفرق سبب من أسباب قتل المسلمين بعضهم لبعض.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيْعًا وَيُذْنِقَ بَعْضَكُمْ بِأَسْبَابِ بَعْضٍ أَنْظِرْ كَيْفَ نَصْرِ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام : ٦٤ ، ٦٥].

قلت: ومن أسباب ذلك عدم حكم الأئمة بكتاب الله

فقد روى البزار في [مسنده] (٦١٧٥)، والحاكم في [المستدرک] (٨٦٢٣)، والطبراني في [الأوسط]

(٤٦٧١)، والبيهقي في [شعب الإيمان] (٣٠٤٢) من طريق الهيثم بن حميد، حدثني حفص بن غيلان، عن عطاء بن أبي رباح، قال: كنا مع ابن عمر بن الخطاب، فجاءه فتى من أهل البصرة، فسأله عن شيء، فقال: سأخبرك عن ذلك، قال: ((كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عاشر عشرة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وابن مسعود، ومعاذ، وحذيفة، وأبو سعيد الخدري، ورجل آخر سماه، وأنا، فجاء فتى من الأنصار فسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم جلس فقال: يا

رسول الله، أي المؤمنين أفضل؟ قال: أحسنهم خلقاً، قال: فأبي المؤمنين أكيس؟ قال: أكثرهم للموت ذكراً، وأحسنهم له استعداداً قبل أن ينزل بهم، أو قال: به، أولئك الأكياس، ثم سكت الفتى، وأقبل علينا النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: لم تظهر الفاحشة في قوم قط إلا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم، ولا نقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين، وشدة المؤنة، وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلب الله عليهم عدوهم، وأخذوا بعض ما كان في أيديهم، وإذا لم يحكم أئمتهم بكتاب الله جعل الله بأسهم بينهم)).

قلت: هذا حديث حسن.

ورواه ابن ماجه (٤٠١٩) ابن أبي مالك، عن أبيه، عن عطاء بن أبي رباح، عن عبد الله بن عمر به.

قلت: ابن أبي مالك اسمه خالد بن يزيد بن عبد الرحمن بن أبي مالك وهو ضعيف الحديث.

قلت: وأصل التفرق ما كان في القلوب وهكذا أصل الاجتماع ما كان في القلوب وأما الأجساد فهي تبع لذلك كما قال الله تعالى: ﴿لَا يَقَاتِلُوكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ شَدِيدٌ تَحْسِبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحشر: ١٤].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في [تفسيره] (٨ / ٧٥):

((ثم قال ﴿بَأْسُهُمْ شَدِيدٌ﴾ أي: عداوتهم فيما بينهم شديدة، كما قال: ﴿وَيَذِيقُ بَعْضُكُمْ

بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الانعام: ٦٥]؛ ولهذا قال: ﴿تَحْسِبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ أي: تراهم مجتمعين

فتحسبهم مؤتلفين، وهم مختلفون غاية الاختلاف)).

ويدل على ذلك أيضاً ما رواه مسلم (٩٧١) عن أبي مسعود قال: كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم-

يمسح مناكبنا في الصلاة ويقول: ((استووا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم ليلني منكم أولو الأحلام

والنهي ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم)). قال أبو مسعود فأنتم اليوم أشد اختلافًا.

قلت: والمتأمل في شريعة الإسلام يجد أيضاً أنَّ من مقاصد الإسلام العظام النهي عن التفرق ويتضح ذلك في

الصور الآتية:

١- القول السيئ في خطاب المسلمين.

قال الله تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ [الإسراء: ٥٣].

وروى مسلم (٢٨١٢) عن جابر قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ((إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أُيسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ)).

٢- ترك طاعة الله عز وجل والوقوع في معصيته.

قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة : ١٤]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في [مجموع الفتاوى] (٣ / ٤٢١):

((فمضى ترك الناس بعض ما أمرهم الله به وقعت بينهم العداوة والبغضاء وإذا تفرق القوم فسدوا وهلكوا وإذا اجتمعوا صلحوا وملكوا ؛ فإن الجماعة رحمة والفرقة عذاب)).

روى إسحاق بن راهوية في [مسنده] (٤٥٣)، ومن طريقه الطبراني في [مسند الشاميين] (٢٣٨٤)، وأبو

نعيم في [حلية الأولياء] (٥ / ٢٠٢). عن أبي هريرة أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((مَا تَوَادَّ اثْنَانِ فِي اللَّهِ فِي الْإِسْلَامِ فَيَفْسُدَ ذَلِكَ بَيْنَهُمَا إِلَّا مِنْ ذَنْبٍ يَحْدُثُهُ أَحَدُهُمَا)).

وله شاهد عن أنس عند البخاري في [الأدب المفرد] (٤٠١)

وشاهد من حديث ابن عمر عند أحمد (٥٣٥٧).

وشاهد آخر من حديث رجل من بني سليط عند أحمد (٢٠٧٠٨).

قلت: ولا تخلوا هذه الشواهد من ضعف، لكن الحديث حسن بمجموعها.

٣- الخمر والميسر.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ [المائدة : ٩٠ ، ٩١].

قلت: ويدخل في هذه العلة سائر المغالبات التي ليس فيها مصلحة راجحة كالمغالبة بالنرد والشطرنج والورق وغير ذلك.

وقد روى مسلم (٢٢٦٠) عن سليمان بن بريدة عن أبيه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((من لعب بالنردشير فكأنما صبغ يده في لحم خنزير ودمه)).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في [مجموع الفتاوى] (٣٢ / ٢٢٣):

((وهذا التشبيه متناول للعب بها باليد سواء وجد أكل أو لم يوجد كما أن غمس اليد في لحم الخنزير ودمه وتشقيص لحمه متناول لمن فعل ذلك سواء كان معه أكل بالفم أو لم يكن فكما أن ذلك ينهى عنه وإن لم يكن معه أكل مال بالباطل فكذلك النرد ينهى عنه وإن لم يكن معه أكل مال بالباطل)).

قلت: ويدخل في ذلك أيضاً المغالبات بين الشركات حيث تجعل كل شركة جائزة في بعض منتجاتها مغالبة منها للشركات المنافسة.

٤ - عدم تسوية الصفوف.

روى البخاري (٧١٧)، ومسلم (٤٣٦) عن النعمان بن بشير يقول: قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((تسون صفوفكم، أو ليخالفن الله بين وجوهكم)).

وقد روى مسلم (٩٧١) عن أبي مسعود قال: كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يمسح مناكبنا في الصلاة ويقول: ((استووا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم ليلني منكم أولو الأحلام والنهي ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم)) . قال أبو مسعود فأنتم اليوم أشد اختلافاً.

قلت: وهذا مما يدل على أنَّ اختلاف الوجوه اختلاف معنوي ناتج من اختلاف القلوب. والله أعلم.

وقد روى أحمد (١٨٤٥٣) أبو داود (٦٦٢) عن النعمان بن بشير قال: ((أقبل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على الناس بوجهه فقال: "أقيموا صفوفكم". ثلاثاً "والله لتقيم صفوفكم أو ليخالفن الله بين قلوبكم")) .

واللفظ الذي في الصحيحين أصح.

٥ - النيمة.

وروى مسلم (٢٦٠٦) عن عبد الله بن مسعود قال: إِنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((أَلَا أُنبِّئُكُمْ مَا الْعَصَةُ هِيَ النَّيْمَةُ الْقَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ)) .

وروى الطبري في [تفسيره] (١٧ / ١٤٨) قال:

((عن قتادة قال: كان عكرمة يقول: العَضَةُ: السحر بلسان قريش، تقول للساحرة: إنها العاضة)).

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُطِيعُ كُلَّ حَلَّافٍ مِّمِّينَ (١٠) هَمَّا زِمَّ شَاءَ بَنِيهِ﴾ [القلم: ١٠، ١١].

وروى مسلم (١٠٥) عن حذيفة أنه بلغه أنَّ رجلاً ينم الحديث فقال حذيفة: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((لا يدخل الجنة نمام)).

وفي لفظ عند البخاري (٦٠٥٦)، ومسلم (١٠٥) ((لا يدخل الجنة قتات)).

٦- التناجي دون الثالث.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَامِرِهِمْ شَيْفًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المجادلة: ١٠]

وروى البخاري (٦٢٨٨)، ومسلم (٢١٨٣) عن عبد الله بن عمر، رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إذا كانوا ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث)).

وفي رواية عند عبد الرزاق في [المصنف] (١٩٨٠٦)، ومن طريقه أحمد في [المسند] (٦٣٣٨): ((إلا بإذنه فإن ذلك يحزنه)).

وفي رواية لمسلم (١٢٨٤) من حديث ابن مسعود: ((فإن ذلك يحزنه)).

٧- النهي عن التفريق بين الجالسين.

روى البخاري (٨٨٣) عن سلمان الفارسي قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((لا يغتسل رجل يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع من طهر ويدهن من دهنه، أو يمس من طيب بيته ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين ثم يصلي ما كتب له ثم ينصت إذا تكلم الإمام إلا غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى)).

وروى أحمد (٦٩٩٩)، وأبو داود (٤٨٤٤، ٤٨٤٥) عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((لا يحل لرجل أن يفرق بين اثنين إلا بإذنه)).

وفي لفظ لأبي داود: ((لا يجلس بين رجلين إلا بإذنه)).

قلت: هذا حديث حسن.

٨- النهي عن التفريق بين الرجل وزوجه، وبينه وبين عبده.

روى أبو داود (٢١٧٥) حدثنا الحسن بن علي، حدثنا زيد بن الحباب، حدثنا عمار بن رزيق، عن عبد الله بن عيسى، عن عكرمة، عن يحيى بن يعمر، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ليس منا من خب امرأة على زوجها، أو عبداً على سيده)).

قلت: هذا حديث حسن.

قلت: أي من سعى بالخداع والإفساد بينهم.

قال ابن الأثير رحمه الله في [النهاية] (٢ / ٥): ((أي خدعه وأفسده)).

قلت: والسعي في التفريق بين الزوجين مما يدعو إليه الشيطان، وأعوانه من السحرة الكافرين.

فروى مسلم (٢٨١٣) عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة يجرى أحدهم فيقول فعلت كذا وكذا فيقول ما صنعت شيئاً قال ثم يجرى أحدهم فيقول ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته قال فيدنيه منه ويقول نعم أنت)).

قال الأعمش: أراه قال فيلتزمه.

وقال الله تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سَلِيمٍ ۖ وَمَا كَفَرَ سَلِيمَانٌ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا فَتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَعْلَمُونَ مِنْهُمَا مَا يَفْتَرُونَ بَيْنَ الْأَمْرِ وَوَجْهِ وَمَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنَ أَحَدٍ إِلَّا بَاذِنَ اللَّهُ وَيَعْلَمُونَ مَا يَفْعَلُونَ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

٩- التفريق بين الوالدة وولدها.

روى أحمد (٢٣٥٤٦)، والترمذي (١٥٦٦) عن أبي أيوب قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((من فرق بين والدة وولدها فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة)).

قلت: هذا حديث حسن لغيره، وقد جاء من وجه آخر عند البيهقي في [الكبرى] (١٨٧٧٣)

١٠- النهي عن التفريق بين ولي الأمر ورعيته.

روى مسلم (١٨٥٢) عن عرفة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((إنه ستكون هنات وهنات فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائناً من كان)). وفي لفظ عنده: ((من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه)).

قال العلامة النووي رحمه الله في [شرح مسلم] (٦ / ٣٢٤):

((الهتات: جمع هنة، وتطلق على كل شيء، والمراد بها هنا الفتن والأمور الحادثة. قوله صلى الله عليه وسلم: "فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائناً من كان" فيه الأمر بقتال من خرج على الإمام، أو أراد تفريق كلمة المسلمين ونحو ذلك، وينهى عن ذلك، فإن لم ينته قوتل، وإن لم يندفع شره إلا بقتله فقتل كان هدراً، فقوله صلى الله عليه وسلم: "فاضربوه بالسيف"، وفي الرواية الأخرى: "فاقتلوه" معناه: إذا لم يندفع إلا بذلك)).

وروى مسلم (١٨٥٣) عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما)).

١١ - النهي عن مفارقة ولي الأمر.

وجاء في النهي عن مفارقة السلطان وجماعة المسلمين أحاديث منها:

ما رواه البخاري (٧٠٥٤)، ومسلم (١٨٤٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر عليه، فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات إلا مات ميتة جاهلية)).

وفي لفظ للبخاري (٧٠٥٣)، ومسلم (١٨٤٩): ((فإنه من خرج من السلطان شبراً مات ميتة جاهلية)).

وروى مسلم (١٨٤٨) عن أبي هريرة: عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ يَغْضَبُ لِعَصْبَةٍ أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصْبَةٍ أَوْ يَنْصُرُ عَصْبَةً فَقَتَلَ جَاهِلِيَّةً وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي يَضْرِبُ بَرَهَا وَفَاجِرَهَا وَلَا يَتَحَاشَى مِنْ مُؤْمِنِهَا وَلَا يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ)).

وسبق ما رواه أحمد (١٧٢٠٩ ، ٢٢٩٦١) ، والترمذي (٢٨٦٣) من طريق يحيى بن أبي كثير عن زيد بن سلام أن أبا سلام حدثه أن الحارث الأشعري حدثه: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (("وأنا آمركم بخمس الله أمرني بهن السمع والطاعة والجهاد والهجرة والجماعة فإن من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربة الإسلام من عنقه إلا أن يرجع ومن ادعى دعوى الجاهلية فإنه من جثا جهنم" فقال رجل يا رسول الله وإن صلى وصام ؟ قال: "وإن صلى وصام فدعوا بدعوى الله الذي سماكم المسلمين المؤمنين عباد الله")) .

قلت: هذا حديث صحيح.

١٢- النهي عن مفارقة الأخ لأخيه في الهجر فوق ثلاث.

فروى البخاري (٦٠٦٥) ، ومسلم (٢٥٥٨) عن أنس بن مالك، رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((لا تباغضوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام)) .

وروى البخاري (٦٠٧٧) ، ومسلم (٢٥٦٠) عن أبي أيوب الأنصاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام)) .

وروى مسلم (٢٥٦١) عن عبد الله بن عمر: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((لا يحل للمؤمن أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام)) .

١٣- النهي عن قطيعة الرحم.

قال الله تعالى: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ (٢٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ ﴿ [محمد : ٢٢ ، ٢٣] .

وروى البخاري (٥٩٨٤) ، ومسلم (٢٥٥٦) عن جبير بن مطعم أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ((لا يدخل الجنة قاطع)) .

قلت: وأما مفارقة الباطل فليس ذلك من التفرق المذموم بل من التفرق المحمود.

فروى البخاري (٧٢٨١) عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((ومحمد صلى الله عليه وسلم فرق بين الناس)).

وقد أمر الله عز وجل بمفارقة الباطل والمبطلين في غير ما آية، وأمر بالتمييز بين الحق والمبطل.

فمن ذلك قول الله عز وجل: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَيْثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْنِبِي مِنْ رَسُولِهِ مَنْ يَشَاءُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران : ١٧٩].

وقال الله تعالى: ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَيْثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَيْثَ بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأنفال : ٣٧].

قلت: ومن أعظم المخالفات الشرعية لمن يريد أن ينشئ حزباً سياسياً الاعتراف بـ"ميثاق الشرف"، وهذا الميثاق الذي وضع عندنا في اليمن يقتضي أموراً منها:

١- أن لا يكفر بعضهم بعضاً، ولا يفسق بعضهم بعضاً، ولا يبدع بعضهم بعضاً.

فلا يكفر البعثي، ولا الشيوعي، وهذا يعد عند أهل العلم ناقض من نواقض الإسلام.

قال العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله كما في [مجموع الفتاوى] (٧ / ٤١٥):

((ومن لم يكفر الكافر فهو مثله إذا أقيمت عليه الحجة وأبين له الدليل فأصر على عدم التكفير، كمن لا يكفر اليهود أو النصراني أو الشيوعيين أو نحوهم ممن كفره لا يلتبس على من له أدنى بصيرة وعلم)).

وفي هذا أيضاً لشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٢- أن يعترف بأفكار سائر الأحزاب الأخرى.

ولازم ذلك الاعتراف بكفريات البعثيين والشيوعيين، والاعتراف بذلك من نواقض الإسلام.

فإنَّ من أركان التوحيد النفي، وهو الكفر بالطاغوت، قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ يُكْفِرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة : ٢٥٦].